1984 07 11 - 0002 - R

الحسد ١١ / ٧ / ١٩٨٤

من قال انني أريد وطناً من دون سليمان؟

- المكان : مستديرة مطار بيروت الدولي.
- الزمان : العاشرة من صباح الاثنين. التاسع من تموز ١٩٨٤.

... وحشد من النسوة المتشحات بالسواد يتجمعن في غير انتظام، وبينهن اطفال يحملون اخشابا وقضبانا حديدية وبعض اطارات المطاط ينشرونها في عرض الشارع... الكل في رواح ومجيء.. وسيدة لا تختلف عن الأخريات تمسح بكم فستانها دموعا حولها الغبار المتصاعد لطخات سوداء على وجنتيها، يقترب منها رجل وقف خلفه ثلاثة مسلحين :

- ... سيدتي، ارجوك ان تفتحي الطريق وتعودي والأخوات المجتمعات هنا الى منازلكن.

- لماذا ؟

- لأنك تمنعين العائدين الى الوطن من الذهاب الى منازلهم ؟

- وهل سليمان بينهم ؟

- ...

- لماذا لا تجاوب ؟ اين سليمان ؟

- الم يتصل بك الصليب الأحمر ؟

- لا

- .....

- يقولون ان الصليب الأحمر لديه لوائح بأسماء الموجودين عندهم. انهم لم يتصلوا بي. يعني ان سليمان ليس بين هؤلاء.

- .....

- وتريدني ان اصدق ؟

- سيدتي، ليس الوقت ملائما لهذا الجدل. اليوم اهم ايام الخطة الأمنية. لقد فتح المطار والمرفأ، ونريد ان يسير كل شيء على ما يرام حتى يعود الوضع طبيعيا في وقت قريب، ونعود ننعم بالأمن بعد كل هذه المدة.. الا تريدين الأمن ؟

- بلى.. لكني اريد ولدي اولا.

- سيدتي ولدك ليس عندي

- اذن، ابعد عني لا شأن لك بي. ودعني احرق هذين الاطارين، فلقد احرق غيري الوطن..

اسمع... لقد كنت انت معهم حين احرقوه.

- يا امي... يا اختي.. سأتجاهل ما سمعت، وارجوك الآن ان تدعي السيارات تمر.. اترين هؤلاء... انهم متعبون من عناء السفر ويريدون العودة الى منازلهم. لقد مضى على بعضهم سنوات ولم ير اهله.

- والمخطوفون، اليس لهم اهل وبيوت ؟

- لا يا سيدتي، وهل نحن الذين خطفناهم.. قاتل الله اولئك المجرمين.. على كل حال، يقولون انهم سيفرجون قريبا عن اسراهم.

- كم عددهم...

- ...

- اتخاف ان تقول انهم قلة ؟ اين الباقون ؟

- بصراحة.. يقولون انهم لم يعودوا موجودين ؟

- وتصدق انت ؟

- هكذا يقولون

- بكل هذه البساطة انتهوا ؟ اين وكيف ؟ لماذا ؟ وتريد ان تصدق الأكذوبة كل تلك النسوة هناك ؟ اسمع.. اترى هذه التي تحمل اربع صور ؟ اذهب وزف لها البشارة..

- يا اختي...

- دعني.. والا جعلتهن يحرقنك انت ايضا.. لكن لا.. لا تؤاخذني.. انت لديك ام وزوجة وشقيقة واطفال ايضا.. انت انظف من اولئك السفاحين.. لكني لا اعرف ان كنت « غشيما » او انك « تتغشمن ».

اسمع.. اسمع.. من كلفك انت ايضا ان تخطف اولاد الناس ؟

- انا لم اخطف بقرار، ولم افتح سجونا ولم اعذب احدا.. ثم لنفترض اني اخطأت.. انها الحرب، ومن لم يخطىء فيها ؟

- شوف يا سيدي.. انا امرأة لا اقرأ ولا اكتب.. ولن استطيع ان افهم ما تقول لكي اجادلك.. لكنك قلت الآن انهم خطفوا بقرار وفتحوا سجونا..

- نعم

- نعم. وماذا ؟ وانتهى الأمر ؟ انك تظهر معهم يوميا ؟

- او تريدين ان يبقى الخراب مستمرا ؟ وان لا نجلس معهم، ويستمر هذا الجرح مفتوحا ؟

- ابدا يا سيدي، انا من يريد ان تتوقف الحرب، فزوجي عاطل عن العمل وابني الأكبر كذلك - بالمناسبة لقد تزوج احمد هذا وسليمان لم يحضر حفل الزفاف - ثم انني اريد العودة الى منزلي الذي هجرت منه. لكن هذا الجرح الذي تتحدث عنه يندمل على « زغل ». هذا اذا صدقنا انه يندمل.

- لماذا ؟

- يا اخي قلت لك انني لا افهم في السياسة.. وكل ما افهمه انك اذا كنت متخاصما مع احد وجاء من يفرض عليكما المصالحة فانها لن تكون حقيقية اذا لم تصف النوايا.

- ومن قال لك ان النوايا غير صافية ؟

- لماذا لا يفرجون عن المخطوفين اذن ؟

- ...

- اجب

- يا اختي، قلت لك ان العدد الأكبر لم يعد موجودا وليكن الله في عونكن.

- كيف تستطيع ان تجزم في هذا الأمر ؟ من كلفك انت ان تدافع عنهم ؟ كيف تصدق ؟ هل انادي تلك الجالسة على الرصيف هناك لتروي لك كيف دفعت سبعة الاف ليرة الشهر الماضي لترى ابنها لنصف ساعة في احد سجون كسروان، وكيف انهم يقولون لها الآن ان اسم ابنها غير وارد في لوائح الصليب الأحمر.. كيف تريدها ان تصدق ؟

- ....

- طيب، يا اخي، ابني مات، وهو ليس الأول ولن يكون الأخير. عوضي على الله. لكن اعطوني جثته.

- يا سيدتي ارحميني.. لا استطيع ان افعل اكثر.

- اذن.. حل عني.. ولا اريد منك شيئا.

- يا سيدتي، صبرا.. ولنتحدث بهدوء.. لنقل عفا الله عما مضى، فانقاذ الوطن الآن هو اهم من الأموات...

- ومن قال لك انني اريد وطنا من دون سليمان ؟

عبد الستار اللاز